بحث في سلامة اللغة العربية

« فوضى » وأصلها واستعمالها

لا يقال : « وقعت الفوضى فيهم » ولا « الفوضى مستفحلة في البلاد » ، بل وقع الاضطراب ، والاضطراب مستفحل فيها .

أورد اللغويون كلمة « فوضى » في مادة « ف و ض » ، ومنهم ابن فارس اللغوي الكبير المعروف ، قال في كتابه « مقاييس اللغة » في المادة التي ذكرتُ أحرفها : « الفاء والواو والضاد ، أصل صحيح يدل على انكال في الأمر على آخر وردّه عليه ، ثم يفرَّع فيردُّ إليه ما يشبهه ، من ذلك : فوّض اليه أمره إذا ردّه ، قال الله تعالى في قصة من قال : (وأفوّض أمري الى الله) . ومن ذلك قولهم : باتوا فوضى[1] ، أي مختلطين ، ومعناه أنّ كلاً فوّض أمره الى الآخر . قال[2] :

طعامُهم فوضى فضاً في رحالهم ولا يحسنون السرّ إلاّ تناديا

ويقال : مالهم فوضى بينهم ، إذا لم يخالف أحدهم الآخر ... » .

وقال الجوهري في الصحاح : « وقوم فوضى ، أي متساوون لا رئيس لهم ، وقال الأفوه الأوْدي :

لايصلح الناسُ فوضى لاسَراةَ لهم ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادُوا

ونعام فوضى : مختلط بعضها ببعض ، وكذلك : جاء القوم فوضى ، ويقال : أموالهم

---

(١) قال الأستاذ عبد السلام هارون ، وهو المتولي لطبع الكتاب : في الأصل : باتوا فوضى . تحريف ، وفي المجمل : وبات الناس فوضى » .

(٢) هو المعذل البكري أحد بني قيس بن ثعلبة شاعر إسلامي ، ورد ذلك في معجم الشعراء للمرزباني (ص ٣٨٨) ، وفيه :

مناعهم فوضى فضاً في ديارهم ولا يحسنون السر إلا تناديا

في أبيات ثلاثة أخرى .

فوضى بينهم ، أي هم شركاء فيها ، وفيضوضى مثله يمد ويقصر » .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وبنو فلان فوضى : مختلطون لا أمير عليهم ، قال : لا يصلح الناس[1] ... ومالهم فوضى بينهم : مختلط ، من أراد منهم شيئاً أخـــذه ، قال : طعامهم فوضى فضاً في رحالهم[2] ... أي مختلط واسع ، لا يخبؤون منه شيئاً ، بل يتـداعون اليه » .

وقال الفيومي في المصباح المنير : « وقوم فوضى إذا كانوا متساوين لا رئيس لهم ، والمال فوضى بينهم أي مختلط ، من أراد شيئاً أخذه ، وكانت خيبر فوضى أي مشتركة بين الصحابة غير مقسومة[3] » .

وقال الفيروزأبادي في القاموس : « وأمرهم فوضى بينهم وفوضوضاء ويقصر ، إذا كانوا مختلطين ، يتصرّف كل منهم فيما للآخر » .

وقال يزيد المهلبي يرثي المتوكل على الله :

وأصبح الناس فوضى يعجبون له ليثاً صريعاً تَنزّى حوله الرَّقَمُ[4]

وقال محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان يصف خيل الحَـلْبة :

فأقبل في أمرنـا نافر كما يقبل الوابل المتخمُ

وأتبع فوضى ومرفضّة كما أرفضّ من سلكه المنظَمُ

وقال أحمد بن علي الماذرائي في صرف أحمد بن محمد بن ثوابة أيام وزارة عبيد الله بن سليمان :

إني وقفت بباب الجسر في نَفَرٍ فوضى يخوضون في ضربٍ من الخبر[5]

وقال أبو العلاء المعرّي يخاطب عبد السلام بن الحسن البصري خازن دار العلم السابورية ببغداد :

---

(١) وذكر بيت الأفوه الأودي المقدم ذكره . (٢) وذكر البيت المذكور آنفاً .

(٣) وفي « المغرب في ترتيب المعرب » للمطرزي ما يقارب هذا الاستعمال .

(٤) الكامل للمبرد (٣/٣٠٦) من طبعة الدالجموني ، وقد جاء فيها « تثرى » مكان « تنزى » . وفي طبعة مصطفى محمد (٢/٣١٢) كما ذكرناه في المتن .

(٥) معجم الأدباء (٢/٤٣) من طبعة مرغليوث .

دعِ الطير فوضى ، إنما هي كلّها طوالب رزقٍ لا تجيء بمقطع

قال مؤلف « شرح التنوير على سقط الزند » : « يقال : قوم فوضى أي متساوون لا رئيس لهم . قال الأفوه العجلي (*) : لا يصلح القوم فوضى (١) ... ونعام فوضى أي مختلط بعضه ببعض ، وكذلك : جاء القوم فوضى ، ويقال : أموالهم فوضى ، أي شركاء فيه (٢) » .

وقال ياقوت في سيرة كمال الدين عمر بن العديم الحلبي :

خلال الفضل في الأنجاد فوضى ولكنّ الكمال لها كمال (٣)

وقال أبو زيد عمر بن شبّة النميري الراوية المتوفّى سنة ٢٦٢ هـ في محنته :

أحجم قوم عن سباب وهَتْرْ فأصبحوا فوضى الشهادات الكبر (٤)

وقال يحيى بن أبي زيد : « وأنا لا تسامحني أيضاً نفسي الى أن أنسبه الى إهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين (٥) » .

هذه أكثر الأمثلة الشعرية والمثل النثرية لكلمة « الفوضى » ، نقلناها من كتب اللغة ومن « معجمي المستدرك » . وأعود الآن إلى قول ابن فارس إنّ قولهم « باتوا فوضى أي مختلطين ، معناه أن كلاً فوّض أمره الى الآخر » فليس ذلك بصواب ، لأن الذين يبيتون فوضى يعود أمر كل واحد منهم الى نفسه ولا يعتمد فيه على الآخر ، ولو صحّ قوله ذلك لكان قول الشاعر « لا يصلح الناس فوضى ... » يفسر بضدّ ما فسره اللغويون ، أعني أن يكون الناس الفوضى معتمداً بعضهم على بعض ، وهذا يعني أن الواحد منهم لا يستطيع التصرّف وحده ولا العمل وحده ولا البقاء وحده .

ثم إنّ « الفوضى » استعملت في جميع المُثُل للجمع لفظاً أو معنىً ، وليس قولهم « متاعهم فوضى بينهم » و « المال فوضى بينهم » من الإخبار بها عن المفرد ؛ لأن المتاع والمال

(١) وذكر البيت المذكور آنفاً .
(٢) الشرح المذكور (٢/١٣٩) طبعة مصطفى محمد بالقاهرة .
(٣) معجم الأدباء (٦/٣٦) . (٤) تأريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/٢١٠) .
(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عبد الحميد (٢/٤٧٧) طبعة البابي الحلبي .
(*) المجلة : المشهور « الأودي » .

من أسماء الجنس التي لها أجزاء فيها جمعان في المعنى ، ولولا ذلك ما صح الإخبار عنها بالفوضى مطلقاً ، ولم نجد من اللغويين من بحث عن سر استعمالها مع الجمع ، والصحيح أن « الفوضى » لم تأتِ من مادة « فوض » كما حسب اللغويون ، بل من مادة « فضّ » . قال ابن فارس في المقاييس : « الفاء والضاد أصل صحيح يدل على تفريق وتجزئة ، من ذلك : فضضت الشيء ، إذا فرقته ، وانفضّ هو . وانفضّ القوم : تفرقوا .. » . وقال الجوهري في الصحاح : « الفضّ الكسر بالتفرقة ، وقد فضّه يفضّه ، وفضضتُ ختم الكتاب ... والفضّة ما يفضّ به المدر ، وفُضاض الشيء ما تفرّق منه عند كسرك إياه ، وانفضّ الشيء انكسر ، وفضضت القوم فانفضّوا أي فرقتهم فتفرّقوا ، وكل شيء تفرّق فهو فضض ... والفاضة : الداهية ، وتفضض الشيء أي تفرّق . والفضيض : الماء العذب ... وقال أبو عبيد : الفضيض الماء السائل » . وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وفضضت حلقة القوم فانفضّوا ، وفضّ الله جمعهم ، قال :

إذا اجتمعوا فضضنا حجرتيهم ونجمعهم إذا كانوا بداد

وخرز فضٌّ : منتشر ، قال ذو الرمة :

كأنّ أدماءها والشمس جانحة ودع بأرجائها فضٌّ ومنظوم

وخرجنا من فضض الحصى ، وهو ما تفرّق منه ، وخرج فضض من الناس أي فرق متفرقة ، وأصابه فضض من الماء أي نشر منه ، وهو ما يسيل على عضوه إذا توضأ ... وأعطني فضضاً من سواكك : قطعة منه ... ومن المجاز : فضّ الله خدمتكم » . وفي المصباح المنير : « وفضضت الشيء فضاً : فرقته ، فانفضّ » ، وفي التنزيل : (لانفضوا من حولك) ... وفي القاموس : « الفِضّ : بالكسر التفرقة ... والنفر المتفرقون ... والفضض محركة : ما انتشر من الماء إذا تطهر به كالفضيض . وكل متفرّق ومنتشر ... والفضيض : الماء أو السائل ، والطلع أول ما يطلع وكل متفرّق » .

وقال الزمخشري في الفائق[1] : « عمر ـ رضي الله عنه ـ رمى الجمرة بسبع حصيات ثم مضى ،

(١) الفائق (٢/٢٨٣) من الطبعة المصرية .

فلما خرج من فضض الحصى وعليه خميصة سوداء ، أقبل على سلمان بن ربيعة ، فكلمه بكلام .

(الفَضَض) هو المتفرّق منه ، والفضيضُ مثله ، وهما فَعَل وفعيل بمعنى مفعول ، من : فضّ الشيء يفضهُ ، إذا فرّقه . وفي كتاب العين : الفضّ تفريق حلقة الناس بعد اجتماعهم ؛ وأنشد « إذا اجتمعُوا فضضنا حجرتيهم ... وانفضّ إذا تفرّق » . وفي النهاية لمجد الدين بن الأثير : « ثم جئت بهم لبيضتك لتفضّها ، أي تكسرها ... الحمد لله الذي فضّ خدمتكم ، أي فرّق جمعكم وكسره » . وفي المغرب في ترتيب المعرب المطرزي : « الفض : الكسر بتفرقة ، يقال : فضّ الخاتم فانفض ، أي كسره فانكسر ، وانفض القوم : تفرّقوا . وانفضت عراها : انكسرت وتفرّقت . وقول عمر رضي الله عنه : عزمت عليك لا تجلس حتى نفض ذلك على قومك ، أي تفرّقه وتقسمه [1] » .

وجاء في أخبار السنة الثانية للهجرة : وفيها كان أول خُمس خمسه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الإسلام ، فأخذ رسول الله صفية والخمس وسهمه ، وفضّ أربعة على أصحابه [2] » .

وخلاصة مادة « ف ض ض » أنها تدل على التفريق والتجزئة كما ذكر ابن فارس ، وقد ظهر من هذين المعنيين « الكسر والنثر والقسمة والتوزيع ، وأنها قد صيغ من فعلها « فَضّ » اسما مفعول هما « الفَضَض والفضيض » كما ذكر الزمخشري في الفائق ، وأن الفضيض هو كل متفرق كما في القاموس .

وعلى ذلك نرى أن الفضيض جُمع على « فَضَّى » مثل « شتيت وشتّى وقتيل وقتلى وجريح وجرحى [3] » ، ثم أبدلت الواو من أحد الضادين فقيل « فوضى » ، وذلك لأن تخفيف التضعيف في العربية يلجأ فيه بادئ الرأي الى أحرف العلّة « الألف والواو والياء [4] »

(١) قال المطرزي : « ونقص من الفصص تصحيف ، وروي : حتى تفضي ذلك عني . من القضاء » .

(٢) الطبري في تأريخ الأمم والملوك (٢/٢٩٨) من الطبعة المصرية الأولى .

(٣) نشرنا هذا الرأي قبل أكثر من عشر سنين في جريدة الهاتف وغيرها .

(٤) من كتابنا في « فقه اللغة الحديث » . وقد ذكرنا في محتتابنا « المباحث اللغوية في العراق » (ص ١٨) في الكلام على قلب أحد الضعفين نوناً أيضاً أن جهل هذا القلب في الصرف أدى الى تخليط =

فعُمد هاهنا إلى الواو ، فصارت بدلاً من الضاد ، كما قالوا « الكوثر » بدلاً من « الكَثَر » « والوسم والوشم » بدلاً من « الرَّسم والرَّشم » و« الهودج » بدلاً من « الهَدَج » ، هذا في الصفة والاسم . وفي الفعل « أعشوشب » بدلاً من « أعشَبَّ » و « أغرورق » بدلاً من « أغرَوَّق » و « أحدودب » بدلاً من « أحدبَّ » ، وهو كثير جداً . ونحن إنما انتهينا إلى هذه النتيجة المبينة في بيان أصل « الفوضى » لعدة أمور : « أولها » أنها وصف من الأوصاف ، و « ثانيها » أنها لا تستعمل إلا للجمع معنىً أو لفظاً ، و« ثالثها » أنها تدل على التفرّق والشيوع والتفريق والإشاعة ، و « رابعها » أنها لاصلة لها بالأصل الثلاثي « ف و ض » على حسبان وجوده ، و« خامسها » أنها وإن كانت وصفاً في المعنى ليست على أوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل نحو « عطشى » وليس لها « فَعْلان » أي « فَوْضان » ، و « سادسها » أنّ لها من الجمع أشباهاً كالشتى والقتلى ، و « ثامنها » أنّ إبدال الواو من أحد ضعفيها هو قاعدة صرفية استدركناها على الصرفيين ، وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود ، و« تاسعها » أنها لا يجوز أن توجد ، وهي ثلاثية الأصل ، وليس لها أصل ثلاثي ، و « عاشرها » أنها تتصل بمادة « فضّ » اتصالاً حقيقياً ، و « حادي عشرها » أنها لا تؤوّل إلا بما أولناها به من كونها جمع « فضيض » ، فأسقط الاستعمال جمعها الأصلي « فضّى » ، وأثبت جمعها المخفف « فوضى » ، و « ثاني عشرها » أن كون « فيضوض وفيضوضاء وفوضوضي وفوضوضاء » بمعناها يدل على أن أصلها مضعف ، وذلك لوجود الضادين فيهن .

وفذلكة القول في « الفوضى » : (١) أنها جمع فضيض أي مفرّق مشاع . (٢) أنها وصف مشتق لا اسم جامد . (٣) أنها لا تستعمل إلا للجمع وما يفيد معنى الجمع بتعدّد أجزائه كالمال والأمر والمتاع ، فالمال كالأموال والأمر كالأمور والمتاع كالأمتعة في الاستعمال التعبيري . وعلى ذلك لا يجوز أن تستعمل « الفوضى » اسماً من الأسماء ولا مفرداً من المفاريد ،

= في الصرف كان سيء العاقبة ، فأقل ما فيه من الضرر استبهام أصول عدد من المشتقات وانكار طريقة من طرائق التطور اللغوي ، فالحرنجم أصله احرجم وقرنص أصله قرص » .

ولا يصح أن يقال « وقع الناس في الفوضَى » على تقدير « في الأمور الفوضى أي الأمور والشؤون المختلفة المتفرقة » كما لا يقال « هم متفقون في الشتّى » على تقدير « في الأحوال الشتّى » ، ولا يقال « وقعت الفوضى فيهم » على تقدير « الشؤون الفوضى » ، قال نصر الله ابن الأثير الكاتب المؤلف الشهير : « حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر : وأكثر ذلك يجيء في الشعر ، وإنما كانت كثرته في الشعر دون الكلام المنثور ؛ لأن القياس يكاد يحظره ، وذلك لأن الصفة تأتي في الكلام على ضربين : إما للتأكيد والتخصيص ، وإما للمدح والذم ، وكلاهما من مقامات الإسهاب والتطويل ، لا من مقامات الايجاز والاختصار . وإذ كان الأمر كذلك ، لم يَلِق الحذف به . هذا مع ما ينضاف الى ذلك من الالتباس وضد البيان ، ألا ترى أنك إذا قلت : مررت بطويل ، لم يَبِنْ من ظاهر هذا اللفظ المرورُ به أإنسان هو أم رمح أم ثوب أم غير ذلك ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فحذف الموصوف إنما هو شيء قام الدليل عليه ، أو شهدت به الحال . وكلما أُستبهم الموصوف ، كان حذفه غير لائق . ومما يؤكد عندك ضعف حذف الموصوف أنك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه « و ذلك أن تكون الصفة جملة[1] » .

وفي الحق أن حذف الموصوف لا يطّرد إلا في باب المفعول المطلق ، لدلالة الفعل عليه ، مثل « أقام طويلاً » أي مقاماً طويلاً ، و « سأل كثيراً » أي سؤالاً كثيراً . فلولا دلالة « أقام » و « سأل » ، لم نعلم أن المحذوفين هما « مقاماً وسؤالاً » .

ومن الناس من يلفظ « الفوضَى » بضمّ الفاء ، وذلك من الاهتداء اللغويّ الذي طبع عليه العرب ؛ لأن الأسماء المنقولة من أعلى درجات التفضيل إلى المصدرية ، تكون على هذا الوزن ، مثل « اليُسرى والعُسرى والشُورى » فهي مؤنث الأيسر والأعسر والأشور ، وتأتي أحياناً على التصغير كالهُوَيني تصغير الهُوني مؤنث الأهون ، والثُريّا تصغير الثُروى مؤنث

(١) الجامع الكبير في المنظوم والمنثور لنصر الله بن الأثير (ص ١٣١) طبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

الأثرى والحميا تصغير الحمياء مؤنث الأحمى .

وياليتها كانت كذلك ، ولكنها ليست باسم مؤنث للتفضيل ، وليس لها مذكر على صيغة الأفعل أي « الأفوض » ، ولا أصل من الثلاثي « ف و ض » كما ذكرنا آنفاً .

والذين يلفظون « الفَوضى » بفتح الفاء يظنونها اسماً مفرداً مؤنثاً كسَلْمى ، مع أنّ « سَلمى » منقول من الصفة ، ومذكرها « سلمان » ، أو مصدراً مؤنثاً كعقرى وحَلقى بمعنى العَقر والحَلْق على أحد قولين . قال الجوهري في (ع ق ر) من الصحاح : « ويقال في الدعاء على الانسان : جدعاً له وعقراً وحلقاً ، أي عقر الله جسده وأصابه بوجع في حلقه . وربما قالوا : عقرىً وحلقىً ، بلا تنوين على ما نذكره في باب القاف » . وقال في « ح ل ق » : « وفي الحديث أنه عليه السلام لما قيل له إن صفيّةَ بنتَ حُيَيّ حائض فقال : عقرى حلقى ! ما أراها إلا حابستنا . قال أبو عبيد : هو عقراً حلقاً بالتنوين ، والمحدثون يقولون : عقرى حلقى . وأصل هذا ومعناه : عقرها الله وحلقها ، يعني عقر جسدها وحلقها ، أي أصابها الله بوجع في حلقها ، وهذا كما تقول : رأسته وعضدته وصدرته ، إذا ضربت رأسه وصدره (وعضده) ، وكذلك حلقه إذا أصاب حلقه [1] » . ومن ذلك « النجوى والدعوى والبلوى والعدوى والجدوى والسلوى والشروى والفتوى » وغيرهن .

وأغرب ما شهدت في استعمال « الفوضى » أنّ العرب المعاصرين لنا يستعملونها اسماً ، وأن أحد الفرنسيين وهو « ج . ب . بلوت J. B. Belot ذكر في مقابل « Anarchie » = عدم الحكم في الشعب ، أمر فوضى ، حكم فوضى ، فوضوية » . فتأمل كيف أحترس من الخطأ في العربية هذا الرجل الغربي ؟ ! وهو وإن لم يعلم أن « الفوضى » قد استعملها على الوجه

(١) قال الزمخشري : « ... ويحتمل أن تكونا مصدرين على فعلى بمعنى العقر والحلق ، كما قيل : الشكوى ، للشكو ، ودعرى لاصقى ، بمعنى دعراً ادعروا ولا تصقوا صقاً » « الفائق (٢ / ١٧٢) من الطبعة المصرية . قال هنا مع أنه جعل « الطغوى » في سورة الشمس من الأسماء . قال في الكشاف : « الطغوى : من الطغيان ، فصلوا بين الاسم والصفة في (فعلى) من بنات الياء بأن قلبوا الياء واواً في الاسم ، وتركوا القلب في الصفة ، فقالوا : امرأة خزيا وصديا ... وقرأ الحسن : بطغواها (بضم الطاء) كالحسنى والرجعى في المصادر » .

الصحيح ، أي صفة لا أسماً ، واشتق منها أسماً صناعياً كما يقول الصرفيون ، فقال « فوضوية » ، ويجوز أن يقال « فوضيّة وفوضاوية » على حسب قواعد النسب ، ولقد قالوا قديماً : « في فلان أعرابيّة » أي خلق الأعراب ، وهو اسم مشتق من النسبة الى الجمع ، كما يقال « صبيانية » لحالة الصبيان ، قال المبرد : « قال عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، لعامر بن عبد قيس العنبري ، ورآهُ ظاهر الأعرابية : يا أعرابي ، أين ربك ؟ فقال : بالمرصاد[1] .

وذكر الجوهري في الصحاح ، وغيره في غيره : أن « الأعرابي » ليس بمنسوب الى جمع « العرب » ، وأن الأعراب لا مفرد له . وهذا مما لايقره علم الصرف ؛ لأن وزن « أعراب » من أوزان الجموع دون المفاريد ، فلا بد أن يكون جمعاً في الأصل ، ثم اختلف استعمال المفرد عن جمعه والجمع عن مفرده بتطور التعبير والاصطلاح .

وكلمة Anarchie مركبة من كلمتين : An ومعناها « مجرد ، محروم ، خلو ، خالٍ ، ممنوع » ، و Arche أي دولة وحكومة ، وكلتاهما من اليونانية . وقد جاء في معجم بواست الفرنسي الذي أصلح سنة ١٨٦٦ م ، وسمي « معجماً عالمياً » Dictionnaire universelle : أن « الأنارشي هي المملكة التي ليس لها رئيس ولا حكومة ، وأنها الاضطراب الشديد أيضاً ، وفساد الحكم الجمهوري » .

وقال المسيو بوانفن في معجمه الفرنسي المطبوع سنة ١٨٥١ م : « أنارشي : من أنارشيا اليونانية بمعنى (بلا حكومة) . وهي مملكة شعب بلا رئيس ولا حكومة ، أو اختلاط السلطات ، وتستعمل للاضطراب مجازاً » .

وفي معجم لاروس الأوسط أن « الأنارشي كلمة مركبة من An بمعنى مجرّد ، و Arche أي قيادة ، وأن معناها : نظام سياسيّ واجتماعي ، يتقدم فيه الفرد بحرية بغير إشراف من الحكومة كائناً ما كان ، أو حال مملكة محرومة الرئيس ، أو فيها السلطة الحكوميّة معطلة أو مقطوعة » ، ولا يؤدّي هذا المعنى إلا « الفوضوية » أو الحكم الفوضى ، أو « الهاملية[2] » .

(١) الكامل (١/٦٨) طبعة الدالجموني .

(٢) كالجاهلية نسبة الى الجاهل ، ومنه قوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ؟) .

والهاملية : اسم مشتق من « الهاملة » اسم فاعل من « هملت الإبل » أي أطلقت ليلاً ونهاراً بلا راع ، أو « الهملية [1] » ، ومنه المثل : « اختلط المرعيّ بالهَمَل » والمرعيّ الذي له راع ، قال الجوهري : « الهمل : بالتحريك ، الإبل بلا راع مثل النقش ، إلا أن النقشَ لا يكون إلا ليلاً ، والهمل يكون ليلاً ونهاراً ، يقال : إبل هَمَل وهاملة وهُمّال وهوامل ، وتركتها هملا [2] » .

وهذا الاستعمال مجازي على سبيل الاستعارة اللفظية ، كما أن قولهم « المال فوضى بينهم ، أو مالهم فوضى » هو من هذا الضرب ، وكذلك « الرعية » فهي من مادة « الرعي » الذي استعمل للأنعام أولاً ، ثم استعير للأنام كما جاء في الحديث النبوي المشهور : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « إبل هَمَل وهوامل ، وقد أهملها الراعي فهملت ، وما ترك الله عباده هملاً » . وقد استعمل منصور النمري من شعراء الرشيد « الهامل » للناس ، قال :

شاءٌ من النّاس رائعٌ هامِلْ يُسَلِّلُون النُّفوسَ بالباطِلْ [3]

* * *

قولهم « أحاط بالأمر علماً » واستعماله

ويقولون : « أحاطه بالأمر علماً ويحيطه به علماً » . وقد جاء في الصحاح : « وقد حاطه يحوطه حوطاً وحيطةً وحياطة ، أي كلأه ورعاه ... وحَوَّط كرمه تحويطاً : بنى حوله حائطاً ، فهو كرم محوّط ، ومنه قولهم : أنا أحوّط حول ذلك الأمر أي أدور ... وأحاط به علمه وأحاط به علماً ، وأحاطت الخيل بفلان واحتاطت به أي أحدقت » . وجاء في المصباح المنير : « حاطه يحوطه حوطاً : رعاه ، وحوّط حوله تحويطاً : أدار عليه نحو التراب حتى جعله محيطاً به . وأحاط القوم بالبلد إحاطة : استداروا بجوانبه . وحاطوا به من باب قال : لغة في الرباعي ،

(١) جمع الهامل كالخادم والخدم والحارس والحرس .

(٢) يراجع « هـ م ل » من الصحاح . قال : معناه « إذا أرسلتها ترعى ليلا ونهاراً بلا راع » .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٣٥٧) طبعة مطبعة المعاهد بالقاهرة .

ومنه قيل للبناء « حائط » اسم فاعل من الثلاثي ... وأحاط به علماً : عرفه ظاهراً وباطناً » .

وقال ابن فارس في المقاييس : « ح و ط : الحاء والواو والطاء ، كلمة واحدة ، هو الشيء يُطيف بالشيء ، فالحوط من حائطه حوطاً . والحمار يحوط عانته : يجمعها ، وحوّطت حائطاً » .

وفي أساس البلاغة : « حاطك الله حياطة ... والحمار يحوط عانته : يحفظها ويجمعها ، وحوطتُ حائطاً ، وأحاط بهم العدوّ ... ومن المجاز : أحاط به علماً : أتى على أقصى معرفته كقولك : قتله علماً . وعلمه علم إحاطة : علمه من جميع وجوهه ، لم يفته شيء منها [1] ، وأحيط بفلان : أتي عليه ، وفلان محاط به : إذا كان مقتولاً مأتياً عليه ، وأحيط بثمره ، و « الله محيط بالكافرين » ، وأنا أحوّط حولك ذلك الأمر وأدور ... وإذا نزل بك خطب فلم يحطك أخوك وترك معونتك ، قيل : حاطك القصا [2] ... » .

وفي مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي : « وحاطه يحوطه حوطاً وحياطة : إذا حفظه وصانه وذبّ عنه وتوفر على مصالحه ... ومنه حديث علي ، عليه السلام : أشهد أنك كنت أحوطهم على رسول الله ، أي أحفظهم وأحماهم له ... وحاطه حوطاً وحياطة : كلأه ورعاه ... قوله تعالى : (إلا أن يُحاط بكم) أي إلا أن تبلغوا فلا تطيقوا ذلك . قوله : إن الله قد أحاط بكلّ شيء علماً ، أي بلغ منتهى كلّ شيء وأحاط به علمه . قوله : وهو بكل شيء محيط ، أي بالاشراف . والاحاطة : القدرة ... قوله : تحيط دعوته من ورائهم ، أي تحدق بهم من جميع جوانبهم ، ومنه أحطت به علماً أي أحدق علمي به من جميع جهاته ... وأحتاط بالشيء : أحدق به » . وفي اللسان « أحطت الحائط » .

وخلاصة هذه النصوص اللغوية : أن « حاط » الثلاثي وغيره ، يفيد الإطافة بالشيء ، ومن الإطافة والاحداق ظهرت الصيانة والحفظ والرعاية والجمع للشمل والتحويط أي بناء حائط أو

---

(١) الضمير يعود الى الوجوه .

(٢) قال : « وهو تهكم ، أي حاطك في الجانب القصا ، وهو البعيد ، يقال : نسب قصا ، وبلد قصاً . ومعناه : لم يحطك ، لأن من يحوط أخاه يدنو منه ويساعده ، لا أن يحل منه في نحوة ... ثم كثر حتى قيل : « حطني القصا ، وإلا تكلت بك ، أي تباعد عني . قال بشر :

خاطونا القصا ، ولقد رأونا قريباً حيث يستمع السرار »

إحداث ما يشبهه ، وظهرت « الاحاطة » أي الإحداق ، وظهر المجاز في « أحاط علمه بكذا » « وأحاط هو به علماً » . وقد ورد في القرآن الكريم ، وظهر أن « على » تستعمل مكان الباء ، كما جاء في الحديث المتقدم ذكره : « أشهد أنك كنت أحوطهم على رسول الله » .

ولما استعمل « حاطه » للحفظ والرعاية ، استعمل الرباعي « أحاط » للحصر والكناية . وقد فات اللغويين القدماء غير الشهاب الخفاجي وفات المعاصرين لنا أن « أحاط » الرباعي هو فعل متعد في الأصل لا لازم ، فقد جاء في اللسان : « أحطت الحائط » . فان صحّ أن العرب استعملت « حاط به [1] » كما جاء في المصباح المنير ، ثبت أن رباعيه هو « أحاطه به » ، فالرباعي في الحقيقة متعد — كما قلنا — إلا أن مفعوله محذوف في الغالب ، نحو « فتش » ، فانه يقال أحياناً « فتش عن كتابه ، ودافع عن فلان ، وحامى عنه » ، والأصل « دافعه عنه » و « فتش الموضع عن كتابه » و « حاماه عنه » ، فأصل أحاط به هو « أحاطه به » ؛ لأنه مأخوذ من « حاطه » المتعدي أو « حاط به » أخذاً اشتقاقياً لا معنوياً ، فقولهم « أحاط به القوم » إنما هو على تقدير « أحاط به القوم خيلهم أو رجالهم أو سيوفهم أو بأسهم » وما أشبه ذلك .

وقولهم « أحاط الحائط » معناه جعله يحوط بالشيء المحوط أي المصون ، وبه يستدل على أن التعدية هي الصفة الحقيقية للفعل « أحاط بكذا » . وكثير من الأفعال في العربية ظاهر حالها اللزوم ، وحقيقتها التعدي ، كالأفعال التي ذكرناها ، وكحافظ على الشيء يحافظ عليه ، فأصله « حافظ فلان فلاناً عليه » ، ومثل « حدابه » أي حدا الجمل به و « دعا به أي دعا خادمه به » و « أستدعى به أي أستدعاه به » و « أمر به أي أمر خادمه به » و « قضى عليه أي قضى الموت عليه أو الهلاك » و « رمى اليه » أي « رمى الشيء أو بالشيء إليه » . وفي العربية أيضاً أسلوب نسيان المفعول الذي يؤثر في مصدره ، قال الزمخشري في « ك س ر » من الأساس : « وكسر الطائر جناحيه كسراً : ضمها للوقوع .. وقد كسر كسوراً ، إذا لم تذكر الجناحين . وهذا يدل أن الفعل إذا نسي مفعوله وقُصد الحدث نفسه ، جرى مجرى الفعل غير المتعدي » .

(١) ورد في أمالي ثعلب (ص ٥٠٤) .

هـــذا رأي الزمخشري ، والظاهر أنه أستنبطه من نقل المصدر المتعدي « الكسر » الى « الكسور » اللازم ، وهو القول المشهور ، إلا أن « فُعولاً » ورد مصدراً للفعل المتعدي ، لا كما ظن الزمخشري ، فمن ذلك « وَجَدَه وجوداً » . وقال الجوهري في « ش ك ر » : « وقوله تعالى : (ولا شكوراً) يحتمل أن يكون مصدراً كقعد قعوداً ، وأن يكون جمعاً كبرد برود وكفر كفور » . وجمع الكفر على كفور هو رأي الأخفش ، وليس في اللغة القديمة ألفة ولا أنسة لجمع المصدر ، حتى يصح قوله . والصواب عندي أنه مصدر « كفر » . وقالوا : « عبر النهر عبراً وعبوراً » وهو متعدٍ ، و « دخله دخولاً » وإن جاز أن يقال « دخل فيه » . وفي مختار الصحاح : « وطَلِع الجبلَ بالكسر طلوعاً : علاه » و « علا الشيء يعلوه عُلوّاً » .

وجاء في شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي (ص ٧٣) : « أحاط : يكون لازمـــاً ، وهو المعروف ، كقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه ، إلا بما شاء) ، ويكون متعدياً أيضاً ، ولم يعرفه كثير ، فوقعوا في أمور غريبة وتعسفات عجيبة . وقد ورد في كلام سيدنا علي رضي الله عنه في نهج البلاغة كذلك قوله في خطبة ... : ألبسكم الرياش ، وأرفغ لكم المعاش ، وأحاط بكم الاحصاء[1] . قال شارحه[2] ... وأحاط بمعنى حوّط ، أي جعل الاحصاء حائطاً حولكم ، يعني أحصى أعمالكم ... وفي لسان العرب : قال أبو زيد : حطتُ قومي ، وأحطت الحائط ، وحوّط حائطاً أي عمله ... وعليه قول التهامي :

والبحر قد حاطه بحران دجلته ... بحرٌ ، وكفُّك بحر يقذف الدررا

قال البحتري :

تحوطهم البيض الرقاق وضُمَّرٌ ... عتاقٌ وأحساب بها يدرك النبل

(١) قلت : ورد هـــذا القول في المجلد الثاني (ص ٨٦) من شرح نهج البلاغة طبعة دار الكتب العربية الكبرى .

(٢) يعني مفعولا مطلقاً .

ولبعض العرب :

غريب وأكناف الحجاز تحوطه ألا ، كل ما تحت التراب غريب

وقال صريع الغواني :

إن كان ذنبي قد أحاط بحرمتي فأحيط بذنبي عفوك المأمولا » .

انتهى المنقول من الشفاء . وقد ذكرنا أن الفعل « أحاط » متعد دائمـــاً ، ولم يفت الشهاب الخفاجي كما فات غيره كونه متعدياً أحياناً ، وأستدركه هو عليهم . ونرى من المفيد أن ننقل شرح عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد للقول الوارد في نهج البلاغـة ، قال : « وقوله : أحاط بكم الإحصاء ، يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر [1] فيه اللام ، والعامل فيـه غير لفظه ، كقوله : يعجبه الشجون ، ثم قال حيناً (كذا) ، وليس دخول اللام بمانع من ذلك ، تقول : ضربته الضربة ، كما تقول : ضربته ضرباً . ويجوز أن ينصب بأنه مفعول به ، ويكون ذلك على وجهين : أحدهما أن يكون من « حاط » ثلاثياً ، تقول : حاط فلان كرمه ، أي جعل عليه حائطاً ، فكأنه جعل الإحصاء والعد كالحائط المدار عليهم ، لأنهم لا يتعدونه ولا يخرجون عنه . والثاني [2] أن يكون من « حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أي يجمعها ، فأدخل الهمزة كأنه جعل الإحصاء يحوطهم ويجمعهم ، تقول : ضربت زيداً ، وأضربته [3] أي جعلته ذا ضرب ، فذلك كأنه جعل ، عليه السلام ، الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول ، أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني ، ويمكن فيه وجه آخر وهو أن يكون الإحصاء مفعولاً له ، ويكون في الكلام محذوف تقديره : وأحاط بكم حفظته وملائكته للإحصاء . ودخول اللام في المفعول له كثير ، كقوله : والهول من يحول الهول (كذا) [4] » .

وهذا النقل يدل على ضيق رأي الشارح الذي نقل الشهاب الخفاجي كلامـه في الشفاء ،

(١) يعني مفعولا مطلقاً .

(٢) الصواب فيه أن يقول « والآخر » ، لأن كلا من الأول والثاني يصح فيه أن يكون أحدهما ، فلذا قابل بالآخر ثبت التعيين .

(٣) فيقال له : لماذا لم يقل « أحاطكم الاحصاء » كما يقال : أضربت زيداً عمراً ؟

(٤) شرح نهج البلاغة (٨٧/٢) .

فانه لم يذكر إلا وجهاً واحداً للإحصاء في نص نهج البلاغة هو النصب بالمفعولية ، ونحن نرى أن الوجه الوجيه من آراء ابن أبي الحديد هو الوجه الأول أي أن يكون أحاطه من « حاط » ، فأدخلت عليه الهمزة ، للتعدية الثانية ، ويؤيده ما نقله ونسيه أو سها عنه في المجلد نفسه (ص ٦٩) ، قال : « ومن الدعاء المرفوع : اللهم ، مَن أراد بنا سوءاً فأحط به ذلك السوء كاحاطة القلائد بترائب الولائد [1] » فقوله « فأحط به ذلك السوء » كقوله « وأحاط بسكم الإحصاء » .

وها أنا ذا أذكر ما جمعته من الشواهد لمعجمي المستدرك مما لعله أن يفيد فائدة في الاستعمال . قال أبو موسى الأشعري : « فإنا لفي طريقنا ، إذ ذكرنا تولّي عمر ، وقيامه بما هو فيه ، وحياطته على الإسلام [2] » . وتمثل علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، عند خروجه لقتال أهل البصرة بقول الشاعر :

ونحنُ وهبناك العلاء ولم تكُن عليّاً وحُطنا حولك الجُرْدَ والسُّمْرا [3]

وقال محمد بن أبي الخطاب القرشي في شرح « محفوفة » : « محفوفة أي محوطة من جميع جوانبها ، يعني العين [4] » . وقال الأحنف بن قيس : « خرجت نحو يمرين ، فسألت عن المقصود هناك ، فأرشدت الى قبة ، فاذا شيخ جالس بفنائها ، مؤتزر بشملة ، محتب بحبل » الى أن قال : « قال لي الشيخ : فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها ؟ فقلت : مات رحمه الله تعالى [5] » . وورد في نهج البلاغة : « ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم [6] » . وأورد السهيلي قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لبني شيبان : « ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم

(١) من شواهد « معجمي المستدرك » . (٢) شرح نهج البلاغة المذكور (١/١٢٥) .
(٣) الشرح المذكور (١/١٧٦) .
(٤) جمهرة أشعار العرب (ص ١٤٦) طبعة مطبعة الاتحاد بالقاهرة .
(٥) الكامل للمبرد (١/٩٨) من طبعة الدالجوني الأزهري .
(٦) شرح نهج البلاغة (٤/١٢٨) قال ابن أبي الحديد (ص ١٢٩) : « ثم قال : لا تصح نصيحة الجند لك إلا بحيطتهم على ولاتهم ، أي بتعطفهم عليهم وتحننهم ، وهي الحيطة على وزن الشيمة مصدر حاطه يحوطه حوطاً وحياطة وحيطة ، أي كلأه ورعاه » .

بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه [1] » .

وقال عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مرتجزاً يوم صفين :

يا هاشم بن عتبة بن مالك أعزز بشيخ من قريش هالك
تحيطه الخيلان بالسنابك في أسود من نقمهن حالك [2]

وقال أحمد بن الحارث الخراساني في حوادث سنة ٢٥١ هـ بالعراق يذكر الحرب ببغداد وسورها الحربي :

فقام بحربهم عالم بأمر الحروب تولاه حينا
فجدد سوراً على الجانبين حتى أحاطهم أجمعينا [3]

وحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب ، قال : « أحاط إبراهيم بن عثمان بدار عيسى بن جعفر العباسي خمس مئة فارس ، وأغلق الأبواب [4] » . وورد في شرح سقط الزند (١/١٣٨) في الكلام على « محجر » : « ولما ذكر عيناً وحولها محجر ، أوهم به عين الانسان المحاطة بالمحاجر » . وفي فوات الوفيات (ص ١٦٨) طبعة مطبعة السعادة : « وتمم الملك الظاهر بيبرس عمارة حرم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعمل منبره ، وأحاط الضريح بدرابزين ، وذهب سقفه ، وبيضه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب :

وأسحم من راح العراق مملأ يحيط عليه الجيش جلد مراثره [5]

---

(١) الروض الأنف (٢/٢٦٥) .

(٢) شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٥) « تحيطه » هكذا ورود ، والظاهر أن الأصل « تخبطه » . وهذا الشرح كثير التصحيف والغلط ، ومن هذا الضرب من التصحيف ما ورد في بيت شعر (ص ٤٩٣) ، وهو :

رأيتك ما أحيطك إذ جرينا وجربت الفراسة كنت فلا

وأصله كما في الصحاح :

رأيتك يا أخيطل إذ جرينا وجربت الفراسة كنت فلا

(٣) تاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٥١ هـ (ص ٩٦) من طبعة مصر .

(٤) العقد الفريد للملك السعيد (ص ١٧٢) لأبي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي ، وتمام الخبر في الكتاب .

(٥) شرح نهج البلاغة (٣/٤٥٥) .

وقال الجوهري في « ش ر ب » من الصحاح : « والمشربة [1] كالشرعة ، وفي الحديث : ملعون من أحاط على مشربة » . وجاء في النهاية لابن الأثير : أن الحديث « ملعون ملعون من أحاط على مشربة » قال : « المشربة بفتح الراء من غير موضع : الموضع الذي يشرب منه كالشرعة ، ويريد بالإحاطة تملكه ومنع غيره منه » .

وقال أبو علي التنوخي في نشوار المحاضرة (١/٥٣) طبعة مطبعة أمين هندية بالقاهرة : « خبرني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش قال : حضرت ببغداد مجلس أبي بكر بن دريد ، وأبو نصر البنص هذا يقرأ عليه قصيدته ... إلى أن بلغ الى قوله :

أماطت لثاماً عن أقاصي الدمالث ... بمثل أساريع الحقوق العثاعث

إذا أنسوا ضيفاً بجانب كدية ... أحاطوا على حافاتها بالربائث

وقال الفيروز أبادي في مقدمة قاموسه : « وكنت برهة ألتمس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفصيح والشوارد محيطاً » . وفي « حائط المجوز » من معجم البلدان : « أحاطت به على جميع ديار مصر » . وقد ذكر ابن جبير هذا الحائط في رحلته (ص ٥٨) من طبعة أوربة .

وفي حوادث سنة ٦١٥ هـ من تاريخ السلوك للمقريزي ، في الخبر عن حرب دمياط : « وصار الفرنج في غربي النيل ، فأحاطوا على معسكرهم خندقاً ، وبنوا بدائره سوراً ، وأخذوا في محاربة أهل دمياط [2] » .

وجاء في الإكليل للهمداني : « وأحاط على صنعاء بحائط [3] » . وفي أخبار الصاحب ابن عباد وأستيلاء فخر الدولة على تركته : « فأنفذ فخر الدولة خواصه وثقاته ، حتى أحاطوا على الدار والخزائن [4] » . وقال أبو الحسين هلال بن المحسن في أخبار ابن الفرات : « وأنفذ يليق إلى دار ابن الفرات بسوق العطش ، فأحاط عليها ، وتسرّع الجند والعوام الى دور أولاده

---

(١) في مختار الصحاح « والمشربة بفتح الميم الشرعة » .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/١٨٩) طبعة الدكتور مصطفى زيادة .

(٣) الاكليل (٨/٢٤) . (٤) معجم الأدباء (١/٧٠) طبعة مرغليوث .

وأهله فنهبوها [1] ... » .

وفي أخبار التتار وما فعلوه بسمرقند وأهلها من التدمير والتقتيل ، قال ابن أبي الحديد : « ثم ناموا أن بقيت الذمة ممن لم يخرج ، ومن خرج فهو آمن ، فخرج الناس اليهم بأجمعهم ، فاحتاطوا عليهم ، ووضعوا فيهم السيف » [2] . وجاء في حوادث سنة ٦٣١ هـ من كتاب الحوادث : « وفي شهر رمضان استدعي الأمير بهاء الدين أيدمر الأشقر زعيم إربل الى دار الوزارة لأجل الفطور ... فحضر . فلما أفطر ، قبض عليه وعلى جميع أصحابه ، واحتيط على داره [3] » . وورد فيه في حوادث سنة ٦٤٢ هـ : وفيها قبض على صدر المخزن فخر الدين محمد بن أبي عيسى ، ووكل به ، واحتيط على داره ، وقبض على أنسابه وأصحابه [4] » . وفي ذيل « تجارب الأمم » في حوادث سنة ٣٨٩ هـ ما هذا نصه : « وأصبح الديلم قد أجمعوا رأيهم على الابتداء بالأمير أبي علي والاحتياط عليه [5] » .

وقال الجاحظ : « ولذلك استلاطت العرب الرجال ، وأغضت على نسب المولود على فراش أبيه ، وقد أحاط علمه بأنه من الزوج الأول [6] » ، وقال مسكين الدارمي الشاعر :

ولا حاملي ظني ولا قيل قائل ... على حائط حتى أحيط بها خُبرا [7]

وقال النجاشي الشاعر يرثي عمرو بن محصن الأنصاري :

حويطاً على حل العشيرة ماجداً ... وما كنت في الأنصار نكساً مؤنبا [8]

أفهذه « حويطاً » اسم فاعل من « حاوط » ، أم تصغير « حائط » ، أم « حريساً » أصابها التصحيف ؟

وفذلكة هذه الشواهد أن يقال « حاط حوله خيلاً » ، وحاطه من جميع جوانبه ، والعين محوطة من جميع جوانبها ، وحاطوا على ولائهم حيطةً ، وأحاط القائد خيله بدار فلان ، وأحاط على

(١) تاريخ الوزراء (ص ٢٨) . (٢) شرح نهج البلاغة (٢/٣٦٥) .
(٣) الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة (ص ١٣١) . (٤) المرجع المذكور (ص ٢٨٧) .
(٥) ذيل تجارب الأمم لوزير أبي شجاع (ص ١٦١) طبعة شركة التمدن .
(٦) الحيوان (١/١٠٨ ـ ٩) من طبعة عبد السلام هارون .
(٧) أمالي المرتضى (٢/٨٢٤) . (٨) شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٨) .

المشربة أي أحاط حائطاً عليها أو ما أشبهه ، وأحاط على الخافات بكذا وكذا ، وأحاط الباني على جميع الديار ، وأحاطوا على العسكر خندقاً ، وأحاطوا على الدار والخزائن أي أحاطوا الرجال عليها ، وأحتاطوا عليهم وأحتاطوا على الدار وأحتيط عليها ، وأحاط علم فلان بكذا ، وأحاط بها خبرا » .

وعلم منها أنه قد قيل « مُحاط » على تقدير « مُحاط به » ، مثل : « مشترك » أي مشترك فيه ، ومَمْحُون أي ممحون فيه ، ومندوب أي مندوب اليه ، ومحجور أي محجور عليه ، وكقولهم اليوم « مأذون » أي مأذون له ، ومرخّص أي مرخص له .

وعلم أيضاً أن الفعل قد أستعمل على العكس ، كقول القائل : « وأحاط الضريح بدرابزين » ، يعني « أحاط الدرابزين بالقبر » . وعلى هذا يجوز أن يقال : « أحاطه بالأمر علماً وأحاط هو به علماً » . فالأول بمعنى « جعله يحيط به علماً » ، والثاني بمعنى « أحاط هو نفسه بالأمر علماً » فالتعدي ملحوظ في العبارتين .

وقد ذكرنا أن الفعل الثلاثي المتعدي الى مفعول واحد ، يتعدى الى مفعول ثان إذا أدخلنا عليه الهمزة ، قالت العرب : « ظفر به وظفره وظفر عليه » . وفي القرآن الكريم : « أظفركم » بإدخال الهمزة عليه ، وفيه : « أمنتكم » من الثلاثي و « آمنكم » من الرباعي بزيادة الهمزة على النحو الذي أشرت اليه ، وفيه : « يبلغ » الثلاثي و « أبلغتكم » ، وفيه : « تبعُوا » الثلاثي « وأتبعهم » الرباعي ، وفيه : « رأى » و « أراناك » الرباعي ، و « سمعَ » و « أسمعهم » الرباعي ، و « شرب » و « أشربوا » الرباعي المبني للمجهول ، و « شهد » و « أشهدهم » الرباعي ، و « طعموا » و « أطعمهم » ، و « لما يلحقوا » الثلاثي و « ألحقنا » الرباعي ، و « نكحتم » و « أنكحوا » الرباعي . وقريب منه قوله تعالى : « عُثِرَ » الثلاثي المبني للمجهول و « أعثرنا » الرباعي . هذا في القرآن الكريم ، فما ظنك بجميع كلام العرب الذين يستشهد كلامهم ؟

مصطفى جواد